مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص - أفريل2022 ص ص: 47-69
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

ملامح وقدرات المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر

كتابات أندري نوشي أنموذجا

Features and capabilities of French historians in writing the contemporary history of Algeria

The writings of André-Nous chi as a model

بكاري عبد القادر، جامعة ابن خلدون-تيارت

bekk1960@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/10/31 تاريخ القبول: 2022/01/29 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص:

ساهم كثير من المؤرخين الفرنسيين من خلال كتاباتهم في طرح عدد من الأراء والنظريات التاريخية وحتى الاجتماعية حول تاريخ الجزائر، مما جعل بعض الباحثين يأخذون عنهم، ومن هنا كان من الضروري تسليط الضوء على أحد ابرز المؤرخين الفرنسيين في القرن العشرين المهتمين بتاريخ الجزائر المعاصر، وهو المؤرخ أندري نوشي صاحب الكتابات العديدة والمتنوعة مادة ومنهجا.

يتناول هذا المقال بالبحث والدراسة جوانب من القضايا التي تضمنتها مؤلفاته التي تكشف عن عديد القضايا السياسة، الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية من تاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، خاصة ما بعد الحرب العالمية الأولى، ومحاولة التطرق الى أرائه المختلفة التي شكلت الركيزة الأساسية، والهدف الجوهري العام لهذه الدراسة، بغية الوصول الى مدى مصداقية الاعتماد عليها في بناء تصور واقعي للأحداث التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الحركة الوطنية؛ الجزائر المرة؛ أندري نوشي؛ المدرسة الفرنسية التاريخية؛ المتروبول.

Abstract:

Many French historians, through their writings, contributed to putting forward a number of historical and even social opinions and theories about the history of Algeria, which made some researchers

take them. Hence it was necessary to shed light on one of the most prominent French historians in the twentieth century interested in the contemporary history of Algeria, the historian André- Nouschi, the author of numerous and varied writings, material and method. This article deals with research and study aspects of the issues included in his books that reveal many political, economic, social, and cultural issues from the history of Algeria during the colonial period, especially after the First World War, and an attempt to address his different opinions that formed the main pillar, and the general objective For this study, in order to reach the extent of the credibility of relying on it in building a realistic perception of historical events.

Keywords: national movement; bitter Algeria; André- nous chi; French historical school; Metropol**.**

مقدمة:

كان ولا يزال تاريخ الجزائر وحركته الوطنية سواء الماضي منه أو الحاضر، من أهم المحطات والمحاور في نظر مختلف كتابات المؤرخين الفرنسيين، الذين وان كانت آراءهم تبدو مختلفة متباينة إلا أنها تصب في نفس المنهج والمعنى، وهو ما جعل جمال قنان يختصر مشروع المدرسة الفرنسية حول تاريخ الجزائر بقوله"إن الصفة البارزة والمسيطرة في مدرسة التاريخ الاستعماري هي كونها مدرسة تحمل طابعا إيديولوجيا بالدرجة الأولى قبل الصفة العلمية"[1] .فإذا كان ج. سورودون(Sorodin,G) وصل إلى درجة نفي الأمة الجزائرية قبل سنة1830م بزعمه أن الجزائر لم تكن تشكل دولة، ولم تكن لها حدود، بل ولم تكن هناك امة جزائرية، فان المؤرخ ج.ه. بوسكي(Bousquet, G.H) صاحب الآراء الاستعمارية المتطرفة زعم أن فرنسا هي من صنعت اسما للجزائر،

[1]- جمال قنان، مدرسة التاريخ الاستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مجلة الدراسات التاريخية، منشورات معهد التاريخ بجامعة الجزائر، ع5، الجزائر، 1988، ص ص:129-130

بينما رأى طرف آخر خاصة الذين كانت كتاباتهم قائمة على محاربة الجزائر شعبا وحضارة وتاريخا، بان ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية يعود إلى الحرب العالمية الأولى[2].

وعليه، فإن من الإشكاليات الرئيسية التي لا تزال تواجه تاريخ الجزائر خاصة في الفترة الاستعمارية، سواء من ناحية المادة التاريخية أو من الناحية المنهجية، هي موقف المؤرخين الفرنسيين من تاريخ الجزائر في الفترة المعاصرة، ومنهجهم في كتابته، ودوافع الخوض في غماره، والرواق الذي يمكن أن نصنف فيه كتابات المؤرخين الفرنسيين عامة وكتابات أندري نوشي على وجه الخصوص ؟

وفي هذا الإطار، يأتي هذا المقال لتقديم قراءة في أبرز المصنفات التاريخية للمؤرخ أندري نوشي حول تاريخ الجزائر المعاصر، مبرزين أهم المحاور التي تناولها، وموضحين منهجية كتابته التاريخية، وهل يمكن الاهتمام بإنتاجه التاريخي الاحترافي فحسب، أم بعوامل أخرى من الظواهر والحالات التي شكلت ثقافته التاريخية وعقليته الفكرية، خاصة وان ثمة فكرين فرنسيين حول تاريخ الجزائر(فكر متعصب متطرف، وفكر موضوعي نسبيا)، فهل يمكن تذويب احدهما في الآخر، أم الإبقاء كل واحد على حدا دون تجاهل أحدهما، ولا رفض احدهما، وكل ذلك في سياق منهجية من منظور المنهج التاريخي التحليلي.

1.-تاريخ الجزائر المعاصر في كتابات اندري نوشي:

مع مطلع القرن العشرين ظهرت بعض الكتابات الفرنسية التي تميزت بمقاربات جديدة لتاريخ وسوسيولوجية الجزائر، على غرار كتابات شارل أندر جوليان(Charles André-Julien)[3]، وبيير بورديو(pierre bourdieu)[4]، أندري نوشي(André-Nouschi)،

---

[2]- Gilbert meynier, l'Algérie révélée, la guerre 191-1918 et le premier quart du XXe siècle, librairie Droz, Genève, 1980, p :07.

- شارل أندري جوليان مؤرخ، صحافي، أستاذ جامعي ومستشرق، ولد عام1891م بمدينة كان الفرنسية، متخصص في شؤون المغرب العربي، انتقل إلى الجزائر وهو في رعيان الشباب، انخرط في العمل السياسي اليساري باكرا،فتعرف على مثقفين وسياسيين معارضين للنظام الاستعماري ومنهم فيليسيان شالاي واندريه جيد، ساند الثورة البلشفية حتى أصبح أحد قادة الأممية الثالثة بالجزائر، شارك في المؤتمر الاشتراكي بموسكو عام1921م حيث التقى بلينين وتروتسكي وغوركي وهوشي منه،

والذين حاولوا تفكيك أعمال أسلافهم التي طبعت بشكل أقل الوعي التاريخي بالأمس، إلا إنها لم تعرف النجاح في عالم النشر والمعرفة مثلما عرفته كتابات فيليكس غوتييه[5](E.F.Gautier) وستيفان غزال[6](Stephane Gsell) على سبيل المثال. وبالعودة الى الأدبيات العلمية والوقائع التاريخية، نجد أن بعض الكتاب الفرنسيين اجتهدوا في إثبات وجود نزعة استعمارية وفق سلطة معرفية، في حين اجتهد البعض الآخر في إنتاج

كلفه رئيس الحكومة الفرنسية ليون-بلوم بتكوين دائرة اللجنة المتوسطية العليا لإيجاد حلول لمشاكل المتعلقة بدول المغرب العربي، تولى رئاسة المجلة التاريخية، وساهم في تأسيس جريدة لومند، وكان أول عميد كلية الآداب بالرباط. من أهم مؤلفاته: تاريخ إفريقيا الشمالية(1931)، إفريقيا الشمالية تسير()، وتاريخ إفريقيا البيضاء، توفي عام1991 بفرنسا. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1980، ص:221-222. [3]

بيير فيليكس بورديو(1930-2002) سوسيولوجي، انتروبولوجي، كاتب ومترجم، من المفكرين البارزين في الساحة الفكرية الفرنسية والعالمية المعاصرة، مثلت الجزائر وتاريخها الفضاء الكبير والركيزة الأساسية، حيث أعطى نظرة سوسيولوجية على المجتمع الجزائري من خلال أعماله الفكرية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. عضو أكاديمية العلوم والفنون الأوربية، وعضو اتحاد المفكرين للدراسات العليا والبحوث. من أعماله: سوسيولوجية الجزائر(1961)-الجزائريون(1962)-العمل والعمال في الجزائر(1963)-أزمة الفلاحة التقليدية في الجزائر(1964). ينظر: Philippe Benetton, le fléau du bien, Essai sur les politiques sociales occidentales(la méthode Bourdieu), robert Laffont, paris,1983,p :48.- [4]

-فيليكس غوتييه(1864-1940) جغرافي واتنوغرافي فرنسي، متخصص في تاريخ إفريقيا الشمالية والصحراء، خريج المدرسة العليا للأساتذة عام1884، قام بعدة رحلات استكشافية إلى مدغشقر والى الصحراء الجزائرية(توات، الساورة، الهوقار، تديكلت)، تولى عدة وظائف منها مديرا للتعليم بجزيرة مدغشقر بين سنوات1895-1899م، وأستاذ بمدرسة الآداب بالجزائر، من آثاره: الجزائر والمتروبول عام1920، بنية الجزائر عام1922م،القرون المظلمة للمغرب عام1927م، والصحراء عام1928م، توفي ببونتفي بفرنسا عن عمر76سنة.ينظر:عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1993، ص:194. [5]

- شارل أيميل ستيفان غزال(1864-1932)، مؤرخ وعالم الآثار، من أساتذة المعهد الكاثوليكي في باريس وعضو مجمع الكتابات والآداب، متخصص في تاريخ الجزائر القديم، خريج المدرسة العليا للأساتذة عام1833م، والمدرسة الفرنسية بروما عام1890، حاصل على شهادة الدكتوراه في علم الآثار عام1894م، عُين أستاذا بمدرسة الآداب بالجزائر، ثم مديرا لمتحف الجزائر، فمفتشا عاما للمتاحف الأثرية بالجزائر عام1919م، فعضوا في أكاديمية النقوش والفنون الجميلة عام1923م. من أهم أعماله: موسوعة التاريخ القديم لشمال إفريقيا، والأبحاث الاركيولوجية في الجزائر، الجزائر في العصور القديمة. ينظر: Eugene. Albertini, Stéphane Gsell (1864-1932) : Bibliographie des travaux de Stéphane Gsell, In. R.A, n°73, Jourdan libraire-éditeur, Alger',1932, pp : 20-53.[6]

معرفة حقيقية وفق مقاربة تاريخية جديدة، ومن هؤلاء المؤرخ أندري نوشي الذي نحن بصدد تقديم قراءات لكتاباته حول تاريخ الجزائر في الفترة المعاصرة، وقبل أن نتطرق لذلك، تجدر الإشارة إلى التعريف بحياته وعصره فمن هو المؤرخ أندري نوشي ؟

أندري نوشي مؤرخ فرنسي من مواليد مدينة قسنطينة بالجزائر في 10ديسمبر1922م، من عائلة يهودية، انضم إلى حكومة فرنسا الحرة عام1940 مقاتلا في صفوفها، مما جعل حكومة فيشي تجرده من الجنسية الفرنسية عام1942م، وبعد الحرب العالمية الثانية استقر بفرنسا، واعْتُبر بالنسبة لبعض الباحثين من مؤرخي الجيل الأول المتحمسين لربط الماضي الاستعماري ليس فقط بإطاره الكلاسيكي، بل بإطار مكوناته المحدودة وتصوراته المعينة التي تتداخل دراسته مع التيارات الفكرية والايديولوجيات السياسية، الذي يمثل داعما لليسار الراديكالي والاشتراكي المتحمس. عُين أستاذ محاضر في جامعة تونس عام1961م، وعند إنشاء جامعة نيس بفرنسا أصبح أستاذا فخريا للتاريخ المعاصر بها، أسس مركز البحر الأبيض المتوسط في التاريخ الحديث والمعاصر(C M M C) بجامعة صوفيا أنتيبوليس سنة1968م، كما انشأ مجلة كراسات المتوسطي(Cahiers de la méditérranées)[7].

تخصص في تاريخ شمال إفريقيا عامة وتاريخ تونس والجزائر على وجه الخصوص، كما وسع اهتماماته بتاريخ استغلال البترول في الشرق الأوسط والعالم العربي. ركز على التاريخ الاقتصادي للجزائر حينما أعد أطروحته حول مستوى معيشة سكان الريف القسنطيني منذ الاحتلال ولغاية سنة1919 تحت إشراف أستاذه شارل أندري جوليان، وهو الكتاب الذي أشاد به توفيق المدني بقوله" قطرة الماء التي تقدم للمسافر بعد عبور الصحراء"، توفي في 7مارس2017 بنيس الفرنسية[8].

[7] - Robert Escalier, états et pouvoirs en méditerranée XVe-XXe, mélanges offerts à André-nous chi, présentation In cahiers de la méditerranée, t1, n°41, paris, 1999, p : 08.

[8] - Emmanuel Roblès, les pieds-noirs : histoire, littérature...., coll., Philippe le baud, paris, 1982, p :25.

بالاضافة الى مؤلفاته التي سنتطرق الى البعض منها والخاصة بتاريخ الجزائر، فقد شارك في العديد من المجلات المختلفة بمنشورات متنوعة بلغ عددها 83 مقالا، منها37 مقالا مابين سنوات 1971 -1994في مجلة كراسات المتوسطي(Cahiers de la méditerranée)، و27 مقالا ما بين سنوات1962 -1992 في مجلة الحوليات(Annales)، ومنشورات في مجلة التاريخ لما وراء البحر(Revue d'histoire d'outre-mer)، ومجلة العالمين الاسلامي والمتوسطي(Revue des mondes musulmans et de la méditerranée) ومجلة التاريخ الحديث والمعاصر (Revue d'histoire moderne et contemporaine) ومجلة حوليات الجغرافيا(Revue de géographie) ومجلة حوليات الديمغرافية التاريخية(Annales de démographie historique)[9]

1.1 مصنفات اندري نوشي حول تاريخ الجزائر:

يوضح المؤرخ الفرنسي أندري نوشي من خلال كتاباته حول تاريخ الجزائر المعاصر حالة التعقيد والتلازم البيني التي أضحت عليها وضعية الجزائر في صلتها بالمتروبول بسبب الفعل الاستعماري، حينما يذكر أن تاريخ الجزائر خلال القرن العشرين كان على نقيض تام لما كان عليه في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد أدى الاستيلاء على مدينة الجزائر إلى انطلاق عملية شاملةلإستعمار كامل التراب الجزائري، بينما حَمَلت الحرب العالمية الأولى التي دشنت تاريخ القرن العشرين معها سلسلة من الظواهر لا صلة لها بما ساد في الماضي، فالظواهر الجديدة مثلها مثل الفعل الاستعماري صارت مركبة ومعقدة طالت ليس فقط المجال السياسي، بل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي أيضا[10].
من أهم مصنفاته، نذكر ما يلي:

1-2- كتاب"ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية": Naissance du nationalisme algérien الكتاب بحجم 188صفحة طبعة دي مينوي(De minuit) بباريس سنة1962،

[9] - bibliographie des travaux d'André-nous chi, In, cahiers de la méditerranée XVe-XXe siècles, mélanges offerts à André-nouschi,t41, année1990, paris, pp :1-14.

[10] -André nous chi, l'Algérie amère 1914-1994, éd, maison des sciences de l'homme, paris, 1995, p : 08.

ينقسم إلى ست فصول، وهو من أهم مؤلفاته، يغطي فيه مرحلة هامة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية التي تمتد من1919م الى سنة1954م، شملت الأحداث العسكرية المتمثلة في ثورات المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الاستعماري، والاحداث السياسية من مشروع بلوم-فيوليت الى غاية الحرب العالمية الثانية1936-1939م، والتطورات السياسية ما بين سنوات1939-1954م، كما يخصص فصلين للنموالاقتصادي والاجتماعي للجزائر ما بين سنوات1919-1954.

تجدر الاشارة، الى ان هذا الكتاب هو الجزء الثاني من كتاب"الجزائر بين الماضي والحاضر" الذي نشر جزءه الأول في مطبعة لا ميزون سوسيال(Maison Sociales) سنة1960م، بمشاركة كلا من إيف لا كوست(Yves Lacoste) واندري برونو André) (prenant، غير أنه نشره بدار دي مينوي خلافا للجزء الأول، وذلك بسبب الاحكام القاسية لأندري نوشي حول مسيرة الحزب الشيوعي الفرنسي(P C F) والحزب الشيوعي الجزائري(P C A) في الحركة الوطنية، وهي الاحكام المستوحاة من مطالب كريم بلقاسم الصادرة في جريدة المجاهد. وعليه، يشير الكاتب ان دراسة هذا الكتاب خصوصا بعد استقلال الجزائر، يدعو الى البحث في التاريخ المدفوع بأحداث الحركات القومية، ويعيد بحزم النمو السياسي والنموالاقتصادي والاجتماعي للجزائر في اطارهم العام[11]

يذكر أندري نوشي في مقدمة كتابه بان هناك عدة جوانب من الحياة السياسية الجزائرية ما بين1919-1954م لا زالت غامضة ولم يكشف عنها، ورغم أن اعمالها لا تَهُم المؤرخ الجزائري المعاصر إلا بطريقة غير مباشرة، لأنها منبثقة في معظمها من كتابات الجغرافيين او الاقتصاديين، الأمر الذي دفعنا الى القيام ببحوث خاصة لمحاولة تكملة وتغطية دراسة بعض جوانبها، فعلى سبيل المثال لا نعرف عن حياة الريف الجزائري بين سنوات1919-1954م، ولا عن الضرائب، ولا عن الحركات العمالية والنقابية، ولا عن نمو المدن، ولا عن الهجرات، ولا عن حركة الاسعار والرواتب إلا القليل، لكن اهتمامنا بدأ بتقديم الخطوط

[11]- Maurice Robin, Nous chi(André), la naissance du nationalisme Algérien, In, Revue françaises de science politique, 12 années, 3è V, n°4, publications de la faculté des lettres, paris, 1962, pp : 1013-1015.

العريضة للمشكلة الديمغرافية[12]، وهو ما يشير اليه محفوظ قداش بقوله" لا يمكننا فهم خصائص الحياة السياسية والاجتماعية لمدينة الجزائر، وباقي المدن دون الاخذ بعين الاعتبار ظاهرة النمو الديمغرافي المتزايدة، والمكانة التي تحتلها مختلف العناصر السكانية في الوسط الاجتماعي"

يتساءل الكاتب وعلى طريقة السياسي وحتى العسكري بقوله، لماذا لا تنتهي هذه الحروب والانتفاضات؟ ليسترسل بقوله، بدون شك أن العائق الرئيسي يكمن في رجال المقاومة الذين يقاتلون بكل بسالة وشراسة اكثر من جنود الاحتلال الذين يدمرون كل ما في طريقهم، ومنها الاراضي التي هي اعز ما يملك الجزائريون، والتي يجدون صعوبة في استخراج ما يكفيهم منها ويعيلهم، وان خلال الاربعين سنة التي تلت الاحتلال لم تتوقف الانتفاضات والحروب، ولم تهدأ الاوضاع ولو لفترة قصيرة، فمن ثورة اولاد سيدي الشيخ عام1864م الى انتفاضات منطقة فرجيوة، الى ثورة المقراني عام1870م، ورغم الخضوع العسكري لبعض المناطق، وانهزام قبائل أخرى، إلا انها لم تفقد الامل في الحصول على استقلالها، وفي ذلك لم يتردد الطبيب فيتال(Vital) من قسنطينة في مراسلة صديقه اسماعيل اوربان(I.Urbain) عام1868 يستفسر فيها عن مشاكل الريف القسنطيني، وعن قوانين سناتوس كونسلت لعام1863 وفارني عام1873، وعن ردود الافعال العربية يقول فيها"أن الجنود مقتنعين أكثر فاكثر بأن سيطرتنا ستنتهي يوما ما مثل تلك الاسبانية والبرتغالية[13]

يشير الكاتب نوشي أنه من اجل السيطرة الاستعمارية على البلاد بشكل أفضل وأسهل، حرصت الادارة الكولونيالية على تعيين موظفين جدد من الاهالي، يسميهم بالرعاة، أي

[12] - Mahfoud kaddache, la vie politique a Alger de1919 a1939, S N E D, Alger, 1970, p :11.

[13] -marcel émerit, André nous chi, correspondance du docteur A. Vital avec I. Urbain1845-1874, In : Annales économie, société, civilisation, 15année, n°4, paris, 1960, pp : 801-802.

الذين لا ماضي لهم، والذين يمكن التخلي عنهم بين ليلة وضحاها دون اثارة اي رد فعل عنيف، خاصة وان هؤلاء الموظفين الجدد مكروهين من السكان[14].

ينتقل الكاتب بعد ذلك للحديث عن شيوخ الزوايا والطرق الصوفية ودورهم الديني والسياسي في الدعوة الى الجهاد ضد المحتل الاجنبي، وفي تأطير الثورات الشعبية،وفي تقديم فتوى الهجرة نحو الاراضي الاسلامية(تونس،سوريا)،كما يقدم عرضا جغرافيا عاما للزوايا في الجزائر من حيث الاولوية والاهمية، فالرحمانية تعتبر الطريقة الاكثر انتشارا وشعبية وتأثيرا في الشرق الجزائري، متبوعة بالتيجانية والقادرية، اما في الوسط، فالطريقة الرحمانية تأتي في المقدمة والاكثر انتشارا، بعدها كلا من الطريقة التيجانية والدرقاوية الشادلية، وفي الغرب الجزائري، تشكل الزاوية الطيبية والقادرية الاساس، تليهم الدرقاوية والكرزازية. ونظرا لهذا الانتشار والتأثير الكبيرين على سير الثورات، تفطنت الادارة الاستعمارية لذلك، فقامت بمحاولة استمالة شيوخ الزوايا لكسبهم، وتركهم يتمتعون بنوع من الحرية في تنقلاتهم وعدم المساس بممتلكاتهم، وهو ما حدث مع شيخ الزاوية التيجانية[15]، إلا ان هذه السياسة لم تنجح مع باقي شيوخ الزوايا والطرق الصوفية على حسب لوي رين(Louis Rinn)[16].

إن سقوط الامبراطورية بفرنسا، وفشل ثورة المقراني دشن مرحلة جديدة في تاريخ المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي، بحيث ادرك الفلاحون الجزائريون المنهارون

---

[14] - André nous chi, la naissance du nationalisme algérien, éd, minuit, paris, 1962, p : 22.

[15]-أسسها أبو العباس احمد بن محمد بن المختار التيجاني المولود بعين ماضي سنة1150هـ/1737م من نسب شريف يعود إلى محمد النفس الزكية، انتقل جده الرابع"محمد بن سالم" إلى عين ماضي قادما إليها من الساقية الحمراء، تزوج من قبيلة بني توجين، فانتسب أولاده وأحفاده من بعده إلى أخواله، اشتهر بالعلم والصلاح، تنقل كثيرا داخل وخارج الوطن الجزائري، ورغم انخراطه في عدة طرق كالطريقة الطيبية والناصرية والقادرية إلا انه لم يجد فيها ما يشفي غليله، فأصر على طريقته الخاصة برؤية أملت عليه الورد الجديد وأمره بتلقينه.توفي عام1820م بمعركة عواجة بمعسكر التي قادها ضد السلطة التركية. ينظر: علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني، ج1، شركة الياس الحلبي وأولاده، مصر، 1963، ص:26.

[16] -louis Rinn, marabouts et khouans, Etude sur l'Islam en Algérie, Jourdan, Alger, 1884, p :418

اقتصاديا ان لاجدوى من مواصلة الجهاد، وان احتلال كامل التراب الجزائري اصبح قاب قوسين أو ادنى، خاصة وان جيوش الاحتلال الفرنسي وصلت الى ابعد مما وصلت اليه الجيوش الرومانية قديما[17]

وامام كل هذه المؤامرات، وكل هذا التفوق العسكري الاستعماري طيلة القرن التاسع عشر، تمكن المجتمع الجزائري وبقيادة نخبة من الاصلاحيين والعلماء والسياسيين المنتخبين من استرجاع قواه الحية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ومن الاستفاقة الوطنية للنهوض من مرحلة غلبت عليه المقاومة الدفاعية عن الذات التي تميزت بعدم التعامل مع كل ما هو فرنسي، الى مرحلة الحركة السياسية بمطالبها المختلفة التي كان رائدها الامير خالد رئيس جمعية"الاخوة الجزائرية"، الذي تزعم الساحة الساسية بعد الحرب العالمية الأولى بفوزه في انتخابات عام1919م، وترشحه في انتخابات عام1925 بعد عودته من منفاه، هذه الحركة التي كان هدفها الدفاع والتحسين المعنوي والمادي الاقتصادي والسياسي للمسلمين الجزائريين، كما وضحت برنامجها السياسي دون ضعف وخوف ضد الظلم والتعسف واللامساواة[18]

عموما، الكتاب يقدم اضافات ثمينة حول ظاهرة الاستعمار في الجزائر، هذه الظاهرة التي قابلتها مقاومات شعبية عنيفة ومتواصلة من الشعب الجزائري، وهي ردود موضوعية بالنظر لنتائج الوجود الأوربي، وان كانت تشكل ردود يائسة امام احتلال شبه نهائي للجزائر، كما يوضح الكتاب للقارئ معرفة الصحوة الوطنية الجزائرية، وان الفقر ليس هو العامل الرئيسي الذي يردده منظري الحركة الاستعمارية، وانما هو عامل منشط لتلك الردود.

1-3-كتاب"الجزائر المرة 1919-1994م" **Algérie amère'** هو من أحسن الكتب التي خصصها نوشي لتاريخ الجزائر المعاصر،طبعته لاميزون دي سيونس دي لوم(Maison

[17] -Victor Démontés, l'Algérie économique, Imprimerie Algérienne, Alger, 1926, p : 165.

[18]- Yvon Turin, les affrontements culturels dans l'Algérie coloniale -1830-1880, ENAL, Alger, 1983, p : 63-64.

des sciences de l'homme)، ويحتوي على349 صفحة، ينقسم إلى قسمين، كل قسم يحتوي على مجموعة من الفصول. الكتاب أنجز بطريقة جيدة، وعنوانه مناسب لمحتواه، وهو ما توضح المقدمة معناه الواسع بدلالات مختلفة ومتنوعة، فهو يقدم دراسة طبوغرافية ممتازة، وبترتيب جيد لأهم المعلومات والملاحظات، نصه واضح، يقرأ بكل سهولة، وبه مجموعة من الوثائق خاصة بالفترة المحددة في العنوان، ذات معاني كبيرة، لكن ما يؤسف له هو الغياب الكامل للخرائط والفهارس، وهو بالتاكيد ما يزعج القارئ. كما يترجم الكتاب خيبة الأمل، بل غضب اولئك الذين ابتهجوا باستقلال الجزائر، وتغنوا بفترتي حكم الرئيسين بن بلة وبومدين من خلال الاحتفال بمزايا انجازاتهم[19].

القسم الأول جاء بعنوان" الجزائر وفرنسا الاستعمارية" يتناول فيه الفترة من 1914 الى1962، وهي الفترة التي الهمت العديد من المؤرخين، يطرحها بخطة كلاسيكية تتناوب فيها الجوانب الاقتصادية والسياسية للجزائر ما بين1939 و1945م، وهي الدراسة التي تدفع احيانا الى المزيد من التفاصيل، خاصة اثار ازمة الثلاثينات(الازمة الاقتصادية العالمية لسنة1929) والتي كان من نتائجها الطبيعية تفاقم الفقر والبطالة وكثرة الصراعات الاجتماعية بالجزائر.

ففي الجانب السياسي، يركز الكاتب على تطور مطالب الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى بداية من الأمير خالد الى مصالي الحاج، في المقابل ينتقد سلوكات الاوربيين، تعنتهم الشديد والعنيد ضد كل ما يخص الجزائريين، ورفضهم لأي إصلاح، سواء تعلق الأمر بمشروع بلوم-فيوليت، او بتطبيق قانون الجزائر لعام1947، الشيء الذي دفع بالجزائريين الى التمرد. ومن ثم، فإن الاوربيين هم من تسببوا في خسارتهم الحقيقية[20].

القسم الثاني تمتد أحداثه من1962 الى 1988 وليس الى سنة1994 كما ورد في العنوان، تتقاسمه ثلاث فصول غير متساوية الحجم من حيث عدد الصفحات، فقد خصص عشر صفحات للفترة التي حكم فيها الرئيس أحمد بن بلة، في حين خصص43 صفحة لفترة

[19] -Jean ganiage, Nous chi-André : l'Algérie amère 1914-1994, In, Revue française d'histoire d'outre-mer, T83,n°313, 4è trimestre, paris,1996, pp :105-106.

[20] -André nous chi, l'Algérie amère… op-cit, p :49.

حكم الرئيس هواري بومدين، وهو فرق مبرر بالنظر الى أهمية الاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية للفترتين.

يصف الرئيس بن بلة بالحاكم الديكتاتوري غير المؤهل وغير الواضح، ويشبه نظام الرئيس بومدين(الاشتراكي) بنظام موسوليني في ايطاليا وبنظام ستالين بروسيا، وان الرئيس بومدين استغل الارتفاع المتزايد لأسعار البترول في بناء قاعدة صناعة ثقيلة، اعتقادا منه ان الجزائر سوف تلتحق بالتطور الصناعي الاوربي في مدة عشرين سنة، ولكن الحقيقة ان تلك العشرات من المركبات الصناعية والمؤسسات الانتاجية لم تكن سوى للشهرة وللدعاية الايديولوجية الاشتراكية، لأنها مسيرة بطريقة عشوائية، ولم تشتغل سوى بثلث قدراتها وامكانياتها، وانها لم تلبي حاجيات الوطن، والاكثر من ذلك، انها كانت على حساب الزراعة التي اهْملت.

وأمام ظاهرة الانفجار الديمغرافي المتزايد والسريع قلت المواد الغذائية، وتراجعت القدرة الشرائية، واصبحت البطالة السمة المميزة للمدن الكبرى. هذا النظام البوليسي المثقل بالرشوة، لم يكن سوى صورة طبق الاصل للنموذج السوفياتي ولدول الديمقراطيات الشعبية عهدي ستالين وبريجنيف[21]

بعد وفاة الرئيس بومدين شهر ديسمبر1978، حاول الرئيس الشادلي بن جديد، هذا العسكري غير المؤهل وغير الكفء على حد قول الكاتب نوشي إعادة تشكيل النظام تدريجيا، وتوفير الحاجيات الضرورية للمواطنين، بتخفيف مؤسسات الدولة على الاقتصاد الوطني، لكن انهيار اسعار البترول فرضت على هذا النظام العودة الى الاجراءات الصارمة التي فجرت الاوضاع الداخلية بغضب شعبي بداية من الربيع الامازيغي بمنطقة القبائل عام1980، ومرورا بالتهديد الاسلامي، وصولا الى احداث أكتوبر1988م، كل ذلك ادى الى الاصلاحات الدستورية شهر فيفري1989.

[21]-Ibid., pp : 233-293.

ملاحظة: ان الفترة ما بين1988-1994 لم يخصص لها سوى ثلاث صفحات، يشير فيها الى سقوط نظام الشادلي بن جديد، وتولي محمد بوضياف زمام السلطة واصطدامه بجبهة الانقاذ الاسلامية.

1-4-كتاب"عودة الأسلحة، الاستعمار وإنهاء الاستعمار الفرنسي" les armes retournées, colonisation et décolonisation françaises. : الكتاب عبارة عن وثيقة تاريخية بامتياز مدعم بوثائق دقيقة مرقمة، وبالآراء والتعاليق الحرة للكاتب الذي يعتبر شاهد عيان لبعض الأحداث تارة، ومشاركا في بعضها الأخر في مراحلها. يحتوي على ثمانية فصول، تدور حول عوالم الاستعمار، والقوى الكبرى الاستعمارية، الادارة والسياسة الاستعمارية في المستعمرات، حيث يعرض هذا العمل من منظور بعيد المدى الاستمرارية بين الاستعمار وإنهاء الاستعمار، ويلقي ضوء جديدا على الخبايا السياسية والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمستعمرات.

أندري نوشي من الكتاب الفرنسيين المتخصصين في تاريخ المغرب العربي عامة، وتاريخ تونس والجزائر على وجه الخصوص، يتحدث عن فترة طويلة من الأحداث المتواصلة بين الاستعمار والتحرر، ويبرز جملة من التوضيحات الجديدة حول أسرار السياسة الاستعمارية، والحقيقة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمستعمرات، حينما يتساءل عن التحولات الاقتصادية التي جلبتها الرأسمالية الفرنسية الى الاقتصاديات المحلية، وعن دور ووزن الجانب العسكري واللوبي الاستعماري، وعن المعنى الذي أعطاه الفرنسيون للإستعمار، وكيف تطورت المجتمعات الأصلية والدخيلة والفرنسية الاستعمارية"، وغيرها من الأسئلة. كما أن الكاتب يقدم تقريرا شفاف لهذه الرحلة من تاريخ الاستعمار الطويل الذي ما زال سجلا حافلا في تاريخ فرنسا، كما يشرح مبادئ التطور والتغير للدول المستعمَرة سابقا[22]

[22] -Catherine coquery- vidrovitch, nous chi-André, les armes retournées, colonisation et décolonisation françaises, cahiers d'études africaines, n°185, paris, 2007, p : 196-197.

يذكر أندري نوشي ان الكِتَاب جاء في وقت مناسب، وقت يعود فيه الاستعمار الفرنسي الى كيد الذكريات الوطنية، بمظهر جميل وبفهم بسيط لكل من يحتاج اليه. اما فيما يتعلق بفترة نهاية الاستعمار ومابعد استقلال المستعمرات، فهناك دراسات عديدة بدأت تستكشف جيدا الظاهرة، وتربطها ارتباطا جوهريا بشروطها وبأصولها(الماضي الاستعماري) حتى اصبح الفهم يتم بالاشارة الى العمليات الاستبدادية الاستعمارية، وان الرغبة في المقارنة تشمل جميع مستعمرات الامبراطورية الفرنسية بأكملها والتي هي بنفس القدر والسياسة[23]

يحذر الكاتب نوشي في مقدمة دقيقة وقوية، معتبرا ذلك مجرد رأي وليس تعهدا شاملا بأن ما أقدمت عليه السياسة الاستعمارية الفرنسية في جميع مستعمراتها الافريقية بالغ الاهمية والاثار، ويؤكد هذا التحيز، ان الخطة الاستعمارية ليست محددة التسلسل الزمني، وانما مناسبة بحالة مختلف العوالم لما قبل الاستعمار، وان البعد السياسي لمخلفات الظاهرة الاستعمارية ولأساليبها لما بعد الاستعمار، وميراث الجانب الاقتصادي الاستعماري، واختلاط ثقافات الشعوب المستعمَرة بثقافات الشعوب المستعمِرة، وحتى العمليات التي لا تنفصل باستمرار عن فترات الغزو والمقاومة، كلها من أبعاد السياسة الاستعمارية الجديدة على ارض الواقع[24]

ففي الفصل الخاص بـ"فرنسا الاستعمار والقوى الكبرى" يطرح بطريقة كلاسيكية التنافس الامبريالي الاستعماري الوطني حول المستعمرات خاصة بين فرنسا وبريطانيا، وان هذه الاخيرة شكلت المنافس الرئيسي الدائم والاقوى لفرنسا في البحر الابيض المتوسط، وفي طرق التجارة نحو الهند، وان مكانة التواجد الفرنسي في الصراع الاستعماري الدولي ناتج من افضلية امبراطوريتها اكثر من قوتها الاوربية.

أما عن العلاقة بين الاقتصاد والاستعمار، فهو يقدم صورة تحليلية لقيمة الظاهرة الاستعمارية ومردودها للرأسمالية الجديدة، والتي تشكل فيها الاموال والبنوك والقروض

[23] - Charles André-julien, la décolonisation française, éd, colin, paris, 1991.

[24] -André nous chi, les armes retournées. Colonisation et décolonisation françaises, éd, Belin, paris, 2005, p : 9.

عصب قوتها، دون احتساب الاعمال الشاقة والمحجوزات العقارية وغيرها. ينتقل الكاتب الى الحديث عن النمو الديغرافي والنسيج الاجتماعي للمدن الكبرى، خاصة التي شهدت هجرة ريفية واسعة للطبقات الفقيرة والمحرومة، التي ظلت تعيش على الهامش، بسبب الحواجز السياسية والاقتصادية التي ظلت تفرضها السلطة الاستعمارية عليهم. مع العلم ان هذه الوضعية المزرية للجزائريين ظلت حتى بعد الاستقلال، الذي لم ينجح في القضاء على مشاكل اللامساواة، وتحقيق العدالة الاجتماعية، نتيجة لإنتشار الرشوة والاختلاسات التي مست حتى المساعدات الخارجية.[25]

أما عن علاقة الاستعمار بالحضارة والثقافة والذي يبدو فيه الكاتب أكثر صراحة، والكتاب بمادته ومنهجه أكثر وضوحا، يتطرق فيه الى الديانات المختلفة، وتطور التقنيات العلمية، والمدرسة الجزائرية خلال فترة الاستعمار التي كانت مخصصة لأبناء المستوطنين، والى النخبة الوطنية الفرنسية، ليختتم بالتطرق الى الحملات الاستعمارية والمقاومات الشعبية الجزائرية المضادة من اجل الاستقلال، وهي المقاومة التي اعتبرها الكاتب الاسلحة المضادة للإستعمار.

وبناءً على ذلك، فإن هذا الكتاب يقدم سلسلة من الدراسات المحورية تحيط بعدة زوايا، وبحقائق متعددة دون تكرار، وبأفكار جديدة غير مستعملة يدعو من خلالها القارئ الى التفكير. ويبقى هذا الكتاب الذي لا ينطوي على ايديولوجية معينة، ولا يحبذه الايديولوجيون يتجنب الكاتب فيه التنديد الشديد والاعتذار السخيف، آخذا بعين الاعتبار بالتفسير والتحليل صعوبة هذا النوع من الكتابات التي لا يزال البعض يرغب في الدلالالة على تاريخها.[26]

1-5-كتاب"تقرير حول مستوى معيشة سكان الريف القسنطيني من الاحتلال حتى سنة1919م : Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en1919

[25] -André nous chi, Ibid., p : 258.

[26] -Gilbert meynier, André nous chi, les armes retournées…coll., histoire et société, In, maison social, n°166, 2è trimestre, paris, 2008, p : 139-140.

الكتاب عبارة عن رسالة تأهيلية لنيل شهادة علمية، ناقشها المؤلف سنة 1959م بجامعة السوربون بباريس تحت اشراف استاذه شارل اندري جوليان، تتحدث عن الأوضاع العامة للإقليم القسنطيني الجزائري، وخاصة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، متسائلا عن مدى النتائج الجديدة التي ترتبت عن السيطرة الفرنسية للجزائر.

يقف الكاتب أندري نوشي على العديد من المعطيات والحقائق الواقعية التي ميزت الوجود الفرنسي بالجزائر، ومنها الوضعية الديمغرافية، وبالرغم من عدم استعماله للوثائق العثمانية لبايلك الشرق، إلا انه استطاع تقديم جدول دقيق للوضعية السكانية للمنطقة عشية الاحتلال الفرنسي عام1837م، حيث قدر عدد سكان اقليم قسنطينة بـ"1.200.000 نسمة، وهو ما يمثل 2/3 من مجموع سكان الايالة الجزائرية، وان نسبة الوفيات كانت مرتفعة بسبب الأمراض، وان الجزائريين لم يكونوا يتناولون اللحوم إلا في المناسبات الرسمية، إلا أن مستوى معيشة السكان كان يبدو مرتفعا قياسا بالدول المتوسطية الأخرى، كما يجب ان لا ننسى بان الجزائر كانت البلد الوحيد الذي كان يصدر الحبوب[27].

المحطة الثانية التي يقف الكاتب عندها في مؤلفه، هي ان الجزائر لم تكن في فوضى سياسية قبيل سنة1830م، وان الثورات بين قبائل البدو والقبائل المستقرة التي أشار إليها بعض الكتاب الجغرافيين والمستكشفين في أنها عرقلت السير الحسن للحياة غير صحيحة ولا أساس لها من الحقيقة، وان الخيم المتناثرة عبر الأراضي الشاسعة لا تعني البداوة، وان وجودها بكثرة سببه الرئيسي هو النظام العقاري المعقد، حتى أن كثيرا من سكان المناطق العمرانية يملكون أكثر عدد من الماشية مقارنة بالبدو الرحل[28].

أما فيما يخص وضعية إقليم بايلك الشرق الجزائري بعد الاحتلال الفرنسي، فان نوشي يصور مشهدا مؤثرا، يتمثل في التراجع الكبير لمستوى الحياة الاجتماعية، والتدني الرهيب في معيشة المواطن الجزائري. صحيح أن هذا التراجع بدأ قبل سنة1830م بسبب

---

[27]- marcel émérite, André-nous chi, enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises, annales, 17 années, t6, paris, 1962, pp : 1214-1219.

[28] -marcel émérite, histoire de l'Algérie sous la direction de louis louilleseaux, annales ,17année, T6, paris, 1962, pp : 1211-1214.

الأمراض والأوبئة، الجفاف، وإتلاف الأراضي الزراعية بأمر من الباي أحمد، لكن بعد 1830م وبسبب ارتفاع عدد المستوطنين وحماية الإدارة الفرنسية لهم، وارتفاع الضرائب إلى 60/. ، تضاعفت الأسعار ثلاث مرات، وارتفعت نسبة الفقر. ومما زاد الأوضاع صعوبة أن شهدت سنوات1845-1850 تراجعا كبيرا في المحاصيل الزراعية، وتراجعت نسبة الصادرات، فارتفعت الأسعار أيضا، مما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة(وباء الكوليرا سنة1850-1851م) الذي أودى بحياة 1200 نسمة. وفي غمرة هذه الأزمة الحادة، أقدمت السلطة الاستعمارية من جديد على توزيع أجود الأراضي الزراعية على مستوطني مدينة باريس عام 1848م..

يتساءل المؤرخ نوشي عن الضرائب المفروضة على الجزائريين، هل كانت ثقيلة؟ والإجابة حسب رأيه دائما هي أن التساؤل يستحق الدراسة عن قرب وبدقة، يواصل الكاتب قوله أننا موجهين توجيها غير صحيح وغير سليم من قبل الإحصائيات(الإدارة الفرنسية) المغلوطة حول نسب زكاة العشور، وأننا نجهل حجم الضرائب و تقديرها لنتمكن من مقارنتها مع حجم ونسب لضرائب دول متوسطية أخرى، وفي حالة معرفتنا لكل ذلك، نستنتج أن مهما ارتفعت نسب الضرائب، فان الجزائري لم يكن فقيرا[29].

الكتاب عبارة عن دراسة تحليلية لنتائج الاحتلال الفرنسي للإقليم القسنطيني، موثقا بالصبر والحقيقة والعدالة، يدعونا هذا الكتاب التاريخي الإجتماعي ايضا ليس فقط لكشف النوايا الاستعمارية، لكن لمعرفة الافعال الحقيقية للوجود الاستعماري بالمنطقة. فبعد وصف الاطار الجغرافي للإقليم القسنطيني بتوظيف معارفه المباشرة، يستعرض الحياة الاجتماعية للسكان عشية الاحتلال الفرنسي، والردود العنيفة وان كانت تبدو أكثر صعوبة، خصوصا بعد معرفة اختلاف الاراء حول هذه النقطة(عدد السكان) بين المؤرخين الوطنيين والمؤرخين الفرنسيين، وحتى بين الفرنسيين انفسهم، مثلا بين ميشال هابرت(Michel Habart) وشارل اندري جوليان(Charles Abdré-Julien).

[29] - marcel émérite, André-nous chi, enquête sur le niveau de vie des populations rurales...op-cit, p : 1216

يخلص الكاتب الى ان عمليات الغزو والاستعمار تشكل إحدى المواضيع الدقيقة التي تسمح باكتشاف عواقب الصدمة بين الاقتصاد الراسمالي الاوربي والاقتصاد المحلي الجزائري، خاصة وان الكاتب يصر على الربط بين الازمات الاقتصادية العالمية والنمو الاجتماعي في الجزائر[30].

2- منهج الكتابة التاريخية عند أندري نوشي

يعتبر أندري نوشي من المؤرخين الفرنسيين الذين أولوا أهمية كبيرة لكتابة تاريخ الجزائر المعاصر خاصة خلال القرن العشرين، فهو لا ريب من الكتّاب المتميزين مادة ومنهجا عن العديد من المؤرخين الفرنسيين الذين تركوا بصماتهم في هذا المجال. صحيح أنه ليس من المؤرخين الذين اعتبروا الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا غزوا عربيا لا يختلف عن باقي الغزاة، وان الفترة الإسلامية قرونا مظلمة[31] ، ولا من الذين أنكروا تاريخية الجزائر أمة ودولة، وان الدولة الجزائرية لم تكن موجودة قبل وصول الفرنسيين، وان اسمها لم يظهر إلا بعد الاحتلال الفرنسي لها عام1830م[32] ، ولا حتى من الذين عملوا على تشويه الشخصيات الوطنية الجزائرية كالأمير عبد القادر الذي وُصِف بالتعصب الديني، وبرغبته في تولي الحكم والاستيلاء على السلطة، والسعي في الحصول على المال والجاه[33] ، بل يعد واحدا من المؤرخين الفرنسيين الذين كان افتراءهم النسبي حول ميلاد الحركة الوطنية السمة البارزة في كتاباتهم، على غرار شارل أندري جوليان وجيلبرت منيي(gilbert meynier) وغي برفيللي(guy pervilier) وغيرهم كثير. فهو يتماشى وطرح المؤرخين الذين يشيرون الى دور الحرب العالمية الأولى في تشكل

[30] -André nous chi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu' en1919— Essai d'histoire économique et sociale, presses universitaires de France, paris,1961, p :231.

[31] -Emile Félix Gautier, le passé de l'Afrique du nord- les siècles obscurs, éd Payot, paris, 1976, p : 10.

[32]-ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:407.

[33]- عبد القادر شرشار، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر، مجلة إنسانيات، مركز الكراسك، ع22، الجزائر، 2003، ص ص:19-31.

الوطنية الجزائرية، ومنهم منيي(Meynier) صاحب أطروحة"الجزائر المستفيضة1914-1918" الذي حاول ان يبرز أن ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية كان بعد الحرب العالمية الأولى، وان اختياره لعنوان ميلادأمة (Naissance d'une nation) كان دقيقا ومعبرا[34]

استطرد نوشي كثيرا في الجانب السياسي المرير للجزائر منذ مطلع القرن العشرين والى غاية نهايته، مركزا على مختلف التيارات السياسية، والاتجاهات الإيديولوجية وتشكيلاتها فيما بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى الصراع بين السلطة الفرنسية والمقاومات الشعبية الوطنية خلال المرحلة الاستعمارية، وعلى الصراع للوصول الى دفة الحكم بين أبناء الوطن الجزائري بعد الاستقلال، كما كتب عن الجانب الاقتصادي كالمناجم والمنشآت الصناعية والمؤسسات الاقتصادية، والعالم الريفي، و قدم الكثير من التحاليل والتفاسير عن الأوضاع الاجتماعية وتناقضاتها بين الأوربيين والجزائريين، وعن النمو الديمغرافي المتزايد لدى الجزائريين، والشيخوخة والركود لدى الأوربيين. ولعلنا نخلص من خلال تتبعنا لمصنفاته التي خصصها لتاريخ الجزائر، الى ما يشير اليه برونو إيتيان، وهو بدون شك، يتلائم والنظرة التاريخية في الكتابة عند اندري نوشي، انه رغم القرون الطويلة من العلاقات مع العالم الاسلامي، ورغم تطور الاتصالات في فتح دور الاشيف واعمال العلماء، فإن المؤرخين يجدون صعوبة كبيرة في تصحيح الصورة(صورة النسيان العفو، الذاكرة،مرارة الجزائر)، ويمكننا القول ايضا بالنسبة للجزائر، ان معرفة هذا البلد قد تراجعت منذ سنوات، وان فقدان الذاكرة هو ما يحاول كل مجتمع ان ينساه، لأن ذلك محفور في اعماقه، وان كل مجتمع يحبذ التاريخ الخطأ على الصحيح عندما لا يتوافق مع مؤسسة المجتمع، في حين ان العفو هو ما لا يجب على كل مجتمع ان يمحيه من ذاكرته للإعتراف بأخطائه، وحينما يكون النسيان مبدأ حياة، يصبح العفو واجب حضاري[35]

خاتمة:

كتب الفرنسيون الكثير عن تاريخ الجزائر المعاصر خاصة، وتناولوا تقريبا جميع ميادين حياة المجتمع الجزائرية بدراسات مختلفة ومتنوعة، توصلوا من خلالها الى جمع العديد

[34] -Gilbert meynier, l'Algérie révélée- la guerre1914-1918 ...op-cit, p : 7

[35] -Bruno Etienne, Amnésie, Anamnèse : Amère Algérie, In mots, n°57, décembre 1998, paris, p : 148-157.

من المعلومات والاراء والحقائق، ومن بين هؤلاء المؤرخ اندري نوشي الذي كتب الكثير عن الفترة الاستعمارية الفرنسية للجزائر، ومن خلال كتاباته التي تناولناها بالعرض والطرح نستنتج ما يلي:

- ينتمي اندري نوشي الى الجيل الأول من المؤرخين الفرنسيين الحريصين على التأريخ للماضي الاستعماري خاصة في مرحلته الأخيرة، فهو اليساري الراديكالي والاشتراكي المتحمس من جهة، والمؤرخ الكلاسيكي الشديد الاهتمام بالأرشيف والمحفوظات، والقادر على اصدار اعمال تحليلية، وملخصات استنتاجية لتصبح مصنفات مرجعية، مؤرخا ملتزما ولقناعاته الماركسية مخلصا، ولا سيما المناهضة للإستعمار، دون ان يفقد موضوعيته في أعماله الأخرى من جهة ثانية.

- إن كتابات اندري نوشي ثمينة المعلومات،غزيرة المعاني، دقيقة المغزى، يمكن قراءتها من قبل الجميع، وهي مفيدة بشكل خاص لمن يهتمون من قريب أو من بعيد بموضوع الاستعمار وما بعد الاستعمار، خاصة وان اساليبها سهلة، دون تملق او تعقيد، يتجنب فيها التكرارات المحتملة،مبنية اساسا على التحاليل، ومقدمة بعناوين رئيسة وعناوين فرعية مفصلة وواضحة، وهذا ليس بكثير على مؤرخ يشهد له الجميع بباعه المتميز في الكتابة التاريخية.

- يبرز اندري نوشي كثيرا في كتاباته التي تناولناها بالدراسة دور المقاومات المسلحة في التصدي للغزو الاستعماري خلال القرن التاسع عشر، ودور الحركة الوطنية السياسية في تبنيها الأسلوب الثقافي الفكري المعتمد فيه على القلم والصحيفة والجريدة لمحاولة كسر احتكار الكولون للصحافة، وهي الاساليب التي أطلق عليه جغلول" المقاومة-الحوار" القائمة على محاولة تطويع الاستعمار باتجاه أقل ضررا على الجزائريين، وانقاذ ما يمكن انقاذه، ولا سيما الهوية الثقافية[36]

[36]- عبد القادر جغلول،المقاومة-الحوار علم الاجتماع التاريخي والثقافي المتعلق بالحركة الوطنية والثورة، مج2، ذاكرة الناس، الجزائر، 213، ص:673.

- تميز التاريخ السوسيولوجي الجزائري ببنيته القبلية منذ عهود، وهو نظام اضطلع بضبط الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية للسكان، القائم على الملكية العائلية، وان الجزائري عاش ولمدة طويلة حالة من الاستقلالية بعيدا عن كل تدخل سلطوي خارجي، يفرض عليه انماط سياسية او اجتماعية بطريقة أو باخرى، لكن الاستعمار حاول اخضاع استقلاليته بسلسلة من التدخلات والاجراءات التعسفية، وجملة من القوانين(سنتوس كونسلت، فارني...)، الهدف منها اخضاعه وتقليص قاعدتة المادية والمعنوية، إلا ان هناك شبه اجماع في فرنسا وقد يكون في اوربا ككل، على عدم الجدوى من فهم تاريخ المغاربة عامة وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص.

المصادر والمراجع:

1-بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1993. 2-جغلول عبد القادر، المقاومة-الحوار، مج2، الجزائر، ذاكرة الناس، 2013.

2-حرازم علي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني، ج1، مصر، شركة الياس الحلبي وأولاده، 1963.

3-سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981.

4- شرشار عبد القادر، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر، **مجلة إنسانيات**، منشورات مركز البحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ع22، 2003، ص: 19-31.
5- قنان جمال، مدرسة التاريخ الاستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، **مجلة الدراسات التاريخية**، منشورات معهد التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر، الجزائر، ع1988، 5، ص :129-130.

6-العقيقي نجيب، المستشرقون، ج1، القاهرة، دار المعارف، ط4، 1980.

7- Albertini Eugene, Stephane Gsell(1864-1932) : bibliographie des travaux de stephane gsell, Jourdan libraire-éditeur, Alger,In. R.A, n°73, 1932,p :
8-Bruno Etienne, amnésie, anamnése : amére amére, In,mots, n°57, décembre1998, paris.

7-coquery-vidrovitch Catherine, nous chi-André- les armes retournées, colonisation et décolonisation françaises, cahiers d'études africaines, paris, n°185,2007, p :196-197.
8-Démontés victor, l'Algérie économique, Imprimerie Algérienne,t3, Alger, 1926.
9- Escalier Robert, états et pouvoirs en méditerranée XVè-XX, mélanges offerts à andré-nouschi, presentation In, cahiers de la méditerranée, t1, n41, paris, 1999,p :8.
10-Emérite marcel, André-nous chi, enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises, annales, paris, n°6, 1962, pp : 1214-1219.
11- Emérite marcel, histoire de l'Algérie sous la direction de louis louilleseaux, annales, paris, n°6, 1962, pp : 1211-1214.
12-Emérite marcel, andré-nouschi, correspondance du docteur vital avec I.urbain1845-1874, In Annales économies sociétés civilisations, 15è année, n4, paris, 1960, pp :801-802.
13-Gautier E F, le passé de l'Afrique du nord- les siècles obscures, paris, éd Payot, 1976,p :10.
14-Ganiage jean, nouschi-andré, l'Algérie amére 1914-1994, In, Revue francaise d'histoire d'outre-mer, t83, n°313, 4è trimestre, paris, 1996 ,pp : 105-106.

15- Julien charles-andré, la décolonisation francaise, éd, colin,paris,1991. 16-Kaddache Mahfoud, la vie politique à Alger de 1919 à1939, S N E D, Alger, 1970, p :11.

17-Meynier Gilbert, l'algérie révélée, la guerre 1914-1918 et le premier quart du XXè siécle, librairie Droz, généve, 1980, p :7.
18-Meynier Gilbert, André-nouschi,enquéte, les armes retournées, colonisation et décolonisation francaise, coll, histoire et société, In maison social ,n°166, 2è trimestre, paris, 2008 ,p :139-140.
18-19- Nouschi andré, l'Algérie Amére, 1914-1994, éd, maison des sciences de l'homme,paris, 1995, p :8.

20-André Nouschi, Bibliographie des travaux d'André-nous chi, cahiers de la méditerranée XVIe-XXe, mélanges offerts à André-nous chi, paris, n°41, 1990, pp : 1-41.

21- Nouschi André, la naissance du nationalisme algérien, éd, minuit, paris, 1962, p :22.

22- Nouschi André, les armes retournées, colonisation et décolonisation francaise, éd,Belin, paris, 2005,p :9.

23-Nouschi André, enquete sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquete jusqu'en 1919, essai d'histoire économique et social, P .U.F, paris,1961, p :231.

24- Rinn Louis, marabouts et khouans, étude sur l'Islam en Algérie, Jourdan, Alger, 1884, p :418.

25- Roblés Emmanuel, les pieds-noirs : histoire, littérature, coll, philippe le baud, paris, 1982, p :25.

26- Robin maurice, nouschi andré, la naissance du nationalisme algerien,, In, Revue francaises de science politique, 12 année, 3èV, n°4, P.F.L, paris, 1962,pp :1013-1015.

27- Turin Yvon, les affrontements culturels dans l'algérie coloniale 1830-1880, ENAL, Alger, 1983, p :63-64.